تـأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو

إعداد:

د. زلفى بنت أحمد الخراط

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو

زلفى بنت أحمد الخراط

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم – المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني :zalkerrat@qu.edu.sa

الملخص :

إن الداعية إلى الله تعالى الحريص على نجاح دعوته، يبذل ما في وسعه في التخطيط لهذه الدعوة المباركة، والرقي بشخصه، والرقي بإمكاناته؛ ليكون أهلاً لتلك الوظيفة الشريفة، فالدعوة ليست عملاً عشوائياً لا خطة لها أو منهج. وإذا كنا نحرص على عنصر الإدارة والتخطيط في أوجه علاقاتنا المتعددة مع الآخرين، فإن حاجتنا إلى تطبيق هذا العنصر في العلاقات الدعوية من باب أولى.

ومن أبرز المجالات التي ينبغي للداعية التركيز عليها: فهم نفسية المدعو، وطريقة تفكيره، وطبيعة شخصيّته؛ فقد خلق الله تعالى عباده متنوّعي الشخصيّة، متباينيِ الطبع، ولذا كان من الضروري التعرّف على أنماط الناس وشخصيّاتهم؛ كي نتعامل مع كل فرد بطريقة تتوافق معه، وإن لذلك أكبر الأثر في قبول المدعو للدعوة، أو رفضه لها، أو ضعف الاقتناع بها.

والداعية الحكيم قبل مباشرته لمهمّته السامية حريص على الاطّلاع على أحوال ونفسيات جمهوره من المدعوين، عارفٌ بطبيعة بيئاتهم ومجتمعاتهم؛ إذ لا يمكن أن يكون خطاب الداعية إلى الله تعالى واحداً لجميع المدعوين، فالناس فيهم الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والمثقف والعاميّ، والمتعدّدو الطبائع والأمزجة، إلى غير ذلك من التنويع البشري، وهؤلاء يتفاوتون بلا شك من جهات شتى، فيحتاج كل واحد منهم إلى خطاب يخصّه به.

ولفهم نفسية المدعو شواهد عديدة في السنة النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، تؤكّد لنا أهمية ذلك الفهم، وتُرشدنا إلى المنهج النبوي السديد لبلوغ ما يُراد من الداعية في هذا المجال.

فإذا امتلك الداعية إلى الله هذا النوع من الحكمة والبصيرة في تعامله مع المدعوين؛ فهذا يعني أنه قادر على أن يُعطي لكل موقفٍ يواجهه ما يلزمه، وقادر على التعامل بوضوح مع الحقائق، ولديه الاستطاعة لترتيب الأولويات، في مخاطبة الجمهور والأفراد. وهذا ما سيتبيّن لنا في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: دعوة ، تأهيل، نفسية، المدعو.

Qualifying the preacher in understanding the psychology of the invitee

Zalfi bint Ahmed Al-Kharrat
Department of Da`wah and Islamic Culture, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University - Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: zalkerrat@qu.edu.sa

Abstract:
The missionary who is desirous of achieving success will exert his utmost efforts for this sacred mission. He must work on improving his character and his competences in order to prepare himself commensurately for this noble task. This is not a task to be undertaken without a plan or in a haphazard fashion. An essential element of this preparation for success is for the missionary to organize himself and develop a strategic plan on how to nurture his relationships with his fellowmen. Indeed, the implementation of such a strategic plan of preparation should be given first priority.
Understanding the personality of his listener and how he thinks is the most important aspect that the missionary should focus on. God's servants come is many different kinds, with various personalities, and manifold natures. For this reason, it is important that the missionary know the mannerisms and idiosyncrasies of the people he is addressing so that he may deal with each individual in a way which is suited to the personality of that individual. This is the most important factor that determines whether the message of the presenter will be well received, or whether the listener will remain unconvinced.
The wise missionary, before he begins this noble task, will meticulously study the conditions of his audience, and familiarize himself with the habitats, characters and moods of all the members of the society, great or small, wealthy or poor, male or female, educated or illiterate. Indeed, there are many varieties of people and no doubt they are not all equal. Each one is a special case and each must be approached in their own way.
There are many instances in the Sunna of the Prophet and the sayings of the Companions that address this question of understanding the soul of the listener. These confirm for us the importance of this understanding. They guide us by giving us the example of the Prophet on how to achieve success in this endeavor.
When the missionary of God's call possesses this kind of wisdom and insight in his dealings with his audience, then he will have the ability to deliver his message. He will have the power to manage the exigencies and realities of any situation he may face. His organizational preparation will allow him to make his presentation to large groups as well as to individuals. This is the subject we will attempt to elucidate in this study.

Keywords: Invitation, Rehabilitation, Psychological, Invited.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن الداعية إلى الله تعالى، الحريص على نجاح دعوته، المتطلّع إلى استجابة المدعو، يخطّط، ويرتّب لتلك الدعوة المباركة، والنهوض بأعبائها، ويرتقي بإمكاناته، ويُنمّي مداركه في مجالات عدة، فالدعوة ليست عملاً عشوائياً بلا خطة أو منهج، وإذا كنا نحرص على عنصر الإدارة والتخطيط في أوجه علاقاتنا المتعددة مع الآخرين، فإن حاجتنا إلى تطبيق هذا العنصر في العلاقات الدعوية من باب أولى.

ومن أبرز المجالات التي ينبغي للداعية التركيز عليها: فهم نفسية المدعو، وطريقة تفكيره، وطبيعة شخصيّته؛ فإن لذلك أكبر الأثر في قبوله للدعوة، أو رفضه لها، أو ضعف الاقتناع بها.

لقد خلق الله تعالى عباده متنوّعي الشخصيّة، متباييني الطبع، مختلفي السلوك، متعدّدي الميل، فلا يمكن أن تجد اثنين متطابقين في الصفات، أو الطباع، أو السلوك، أو الميل، كما أنهم ليسوا سواء في الاستجابة، ولا في الفهم. ولذا كان من الأهمية بمكان التعرّف على أنماط الناس وشخصيّاتهم؛ كي نتعامل مع كل فرد بطريقة تتوافق معه، فمخاطبتهم على حد سواء ليس من الحكمة في شيء.

والداعية الحكيم قبل مباشرته لمهمّته السامية حريص على الاطّلاع على أحوال مَن يتوجّه إليهم بالدعوة، قادر على سبر أغوار نفسيّاتهم، عارفٌ بطبيعة بيئاتهم ومجتمعاتهم؛ إذ لا يمكن أن يكون خطاب الداعية إلى الله تعالى واحداً لجميع المدعوين، فالناس فيهم الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والمثقف والعاميّ، والمتعدّدي الطبائع والأمزجة، إلى غير ذلك من التنويع البشري، وهؤلاء يتفاوتون بلا شك من جهات شتى، فيحتاج كل واحد منهم إلى خطاب يخصّه به، وقد يجمع الموفّق في الخطاب الواحد ما يناسب

الجميع؛ ولذلك علّمنا ربنا سبحانه وتعالى كيف ندعو إليه، مبيّناً لنا طريقة دعوة أصناف المدعوين؛ لأن ثمة فوارق بينهم؛ وذلك في قوله سبحانه وتعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(١).

فإذا امتلك الداعية إلى الله هذا النوع من الحكمة والبصيرة في تعامله مع المدعوين؛ فهذا يعني أنه قادر على أن يُعطي لكل موقفٍ يواجهه ما يلزمه، وقادر على التعامل بوضوح مع الحقائق، ولديه الاستطاعة لترتيب الأولويات، في مخاطبة الجمهور والأفراد(٢).

ولفهم نفسية المدعو شواهد عديدة في السنة النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، تؤكّد لنا أهمية ذلك الفهم، وتُرشدنا إلى المنهج النبوي السديد لبلوغ ما يُراد من الداعية في هذا المجال. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا»(٣).

وقوله "معادن": أي أصولاً مختلفة، والمعادن: جمع مَعدِن، وهو الشيء المستقرّ في الأرض، فتارة يكون نفيساً، وتارة يكون خسيساً، وتارة يكون مركّباً من مركبات شتى، وكذلك الناس(٤).

وهذا الحديث يرشد الداعية إلى ضرورة أن يكون دقيقاً في معرفة أحوال مَن يخاطبهم، فيبحث عن المعادن الكريمة ممن لديهم الغيرة والحماسة والنجدة والجود والكرم وحب الخير، مع التجمّل بالصبر والمصابرة؛ ليُؤهّلهم

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥

(٢) انظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، ٧٦، عزيز بن فرحان العنزي، تقديم:صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م، والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٣٣٤، د.عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١ه/٢٠١٠م.

(٣) صحيح البخاري ، ١٤٩/٤ ، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ)، ح ٣٣٨٣

(٤) انظر: نصوص دعوية من أحاديث خير البرية ، ٨٧، جمعها وشرحها: د.حيدر أحمد الصافح، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.

لحمل الرسالة، ويُكلّفهم بتبليغ الدعوة للعالمين[١]. وعليهم كذلك أن يُفرزوا أعداداً من النبهاء والنابغين لتعلّم الدين والتخصص في علوم الشريعة؛ حتى يكون في الأمة علماء ربانيون[٢].

وحول المعنى ذاته يروي أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه وهو رديفه على الرحل: يَا مُعَاذَ، قال: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثَلاثاً، قال: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبشِرُون؟ قال: إِذاً يَتَّكِلُوا. وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً[٣].

قال المهلب: فيه أنه يجب أن يُخَصَّ بالعلم قوم لِما فيهم من الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف لِمَن لا يستأهله من الطلبة، ومَن يخاف عليه الترخص والاتكال لقصير فهمه، كما فعل صلى الله عليه وسلم، وإنما أراد ألا يُوضع العلم إلا عند مَن يستحقه ويفهمه. وفيه: أنّ مَن عَلِمَ علماً كان عليه أن يُودعه مستأهله، ومَن يظن أنه يضبطه، كما فعل معاذ رضي الله عنه حين حدّث به بعد أن نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يُخبر به؛ خوف الاتكال، فأخبر به عند موته؛ خشية أن يُدركه الإثم في كتمانه[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم «يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[٥].

---

(١) انظر: المرجع نفسه، ٩٠

(٢) انظر: المرجع نفسه، ٩٠

(٣) صحيح البخاري ، ١/٣٧ ، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا ، ح ١٢٨

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ١/ ٢٠٦-٢٠٧، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

(٥) صحيح البخاري،١/ ٢٥ ، كتاب العلم، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، ح ٦٨

قَالَ أَبُو عبيد: يَتَخَوَّلنَا: يتعهّدنا، والخائل: المتعهد للشَّيْء والمصلح له والقائم بِهِ، والتخون مثل التخول. وكَانَ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء يَقُول: إِنَّمَا هُوَ يتحولهم بالحاء: أَي ينظر حالاتهم الَّتِي ينشطون فِيهَا للموعظة وَالذكر، فيعظهم فِيها، ولا يُكثر عَلَيْهِم فيملّوا[١]. وعلى هذا فلا موعظة مؤثّرة فاعلة إذا توجّهت إلى قوم ليسوا على استعداد نفسي أو علمي أو زمني لقبولها والتأثّر بها. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَالِقُوا النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ»[٢]؛ لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعامل الأعراب القادمين من البادية بما لا يعامل أصحابه الذين ربّوا في حجر النبوة[٣]؛ وذلك لأن لكل فئة أخلاقها، واستعداداتها النفسية.

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَباً مِنْ يَوْمِئِذٍ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مُنَفِّرُونَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ المريضَ، وَالضَّعِيفَ، وَذَا الحَاجَةِ»[٤].

فالداعية ينبغي أن يكون فطِناً، لـمّاحاً، عارفاً بحال المدعوين من حيث القوة والضعف والرضا والغضب، فيرفق بهم ويراعي أحوالهم، وإذا

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري،١١/ ٢٢٨، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. وكشف المشكل من حديث الصحيحين،١/ ٣٠٦، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض. وقوت المغتذي على جامع الترمذي، ٧٠٩/٢، إعداد: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة الدكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ٣/ ٣٨٦، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ه/١٩٩٠م.

(٣) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، ٤٠١، سهام جبّار، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

(٤) صحيح البخاري، ١/ ٣٠ ، كتاب العلم، بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ، إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، ح ٩٠

أراد أن يرشد أو يعلّم أو يحذّر من أمر أو يدعو إليه، فإن من المستحسن ألا يواجه الشخص بالاسم أو التعنيف، بل يجعل خطابه عاماً، فيتحقق المطلوب، ويتعلّم المعنيّ بالأمر، مع المحافظة على مشاعره ونفسيته(١).

وقال عليّ رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»(٢). وهذا توجيه سديد من الصحابي الجليل، ويعني به: "حدّثوهم بِمَا تحتمله أفهامهم من العلم"(٣)، "وبما يدركونه، وتسعه عقولهم، لا بما يخفى عليهم معرفته، وفهمه من المتشابه، وما لا يدركه إلا مَن مارس المعارف، وطال اطّلاعه على الحقائق، وقرّ في ذهنه الإيمان؛ لأنه مَن كان على خلافه فإنه تشكك عليه الحق"(٤).

وروى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»(٥). فالداعية الحكيم هو "الذي يدرس الواقع، وأحوال الناس، ويُنزل الناس منازلهم، ثم يدعوهم على قدر عقولهم وأفهامهم وطبائعهم وأخلاقهم ومستواهم العلمي والاجتماعي والوسائل التي يؤتون من جهتها"(٦). فليست الدعوة إلى الله مجرد كلمات ومواعظ تلقيها على مسامع القوم دون أي تقديرات أخرى.

وأخلُص ممّا تقدم أن مشكلة البحث الرئيسة تكمن في أهمية التنبيه لمسألة العناية بتأهيل الداعية في مجال فهم نفسية المدعو، وسبر أغوار هذه

(١) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية ، ١٥٣

(٢) صحيح البخاري ، ١/ ٣٧، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، ح١٢٧

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ١/ ٢٠١، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ٢/ ٢٠٤

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥/ ٣٣٧، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٥) مقدمة صحيح مسلم ، ١/ ١١، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٦) الحكمة في الدعوة إلى الله، ٣٣٥، سعيد بن علي القحطاني، الرياض، ط٣، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.

النفسية للتعامل معها في ضوء الإمكانات المتاحة لدى الداعية. وسوف يتحقق في هذا الاتجاه بإذن الله الثمرة الفضلى للوصول إلى ما ينشده الداعية في المدعو.

مصطلحات البحث:

تأهيل: مصدر أهَّلَ، مثل تأهيل أكاديميّ: جَعْل المرء مؤهّلاً أكاديميًّا، تأهيل اجتماعيّ: إصلاح فرد أو عضو حتى يصبح نافعًا للمجتمع بعد أن كان عاجزًا، تأهيل تربويّ: إعداد المعلم بإعطائه دروسًا في التربية، تأهيل مهنيّ: جَعْل المرء مؤهَّلاً مهنيًّا(١).

الداعية لغة: يقول ابن فارس: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك"(٢). وقال ابن منظور: "الداعية هو الرجل الذي يدعو الناس إلى بدعة أو دين، وأُدخلت الهاء للمبالغة"(٣).

الداعية اصطلاحاً: "هو كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق منهج الدعوة القويم"(٤).

المدعو لغة: اسم مفعول من الفعل دعا، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته(٥).

المدعو اصطلاحاً: هو كل مخاطب بالدعوة من الخلق(٦).

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، ١/ ١٣٦، د.أحمد مختار عبد الحميد عمر مساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨ م.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٧٩، مادة دعو، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية.

(٣) لسان العرب، ٩٨٧/١، مادة دعا، محمد بن مكرم بن منظور، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٥٠٤

(٥) انظر: لسان العرب، ٩٨٦/١، مادة دعا.

(٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٥٧٦

أهداف البحث:

هدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

١- التبصير بأهمية فهم الداعية لنفسية المدعو، وأثر ذلك الفهم في نجاح العملية الدعوية.

٢- التعرف على أهم الجوانب التي ينبغي للداعية مراعاتها وفهمها في طبيعة المدعو النفسية.

٣-الوقوف على نماذج نبوية تطبيقية في مراعاة الداعية لنفسية المدعو.

تساؤلات البحث:

سعى البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية

١- ما أهمية تأهيل الداعية لفهم نفسية المدعو؟

٢- ما أثر فهم الداعية لنفسية المدعو في نجاح دعوته؟

٣- ما الجوانب التي ينبغي للداعية مراعاتها وفهمها في طبيعة المدعو النفسية؟

٤- ما الشواهد النبوية لمراعاة حالة المدعو النفسية؟

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية تخصصت بدراسة تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو، وما وقفتُ عليه كان من باب الإشارة إلى أهمية هذا الفهم، ودوره الكبير في إنجاح العملية الدعوية، ومن تلك الدراسات التي أشارت بشكل سريع أو عَرَضيّ أو غير مباشر:

١- البصيرة في الدعوة إلى الله، للأستاذ عزيز بن فرحان العنزي، وقد تحدث في أحد فصوله عن البصيرة في حال المدعوين، وكيفية دعوة كلّ منهم على حسب حاله، ولكنه في تقسيمه لأحوال المدعوين اقتصر على الأصناف الثلاثة التي وردت في الآية الكريمة: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(١). وقد بيَّنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله: "الناس ثلاثة أقسام، إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة، وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل، وإما ألا يعترف به، فهذا يجادل بالتي هي أحسن؛ لأن الجدال فيه مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان". فكان بذلك مغايراً لدراستي في هذا البحث مع استفادتي الكبيرة من هذا الكتاب.

٢-منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر للشيخ عدنان العرعور، وقد تناول المؤلف في الفصل الثاني من الباب الثاني مراعاة أحوال المدعوين، وأهمية ذلك في الوصول إلى الهدف المرجوّ من الدعوة، ولكنَّ تناوله لذلك كان موجزاً وسريعاً، كما أنه أغفل بعض الأحوال النفسية، والجوانب الدقيقة، والتي حاولتُ تناولها في ثنايا بحثي.

٣-الدعوة للدكتور حمد العمار، والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية للدكتور عبد الرحيم المغذوي، وقد تناول مؤلف الكتاب الأول، ومؤلف الكتاب الثاني كيفية الدعوة باعتبار أصناف المدعوين، ولكنهما اقتصرا

(١) سورة النحل: آية ١٢٥

في هذا التناول على الاعتبار الديني للمدعوين دون التطرق لاعتبار آخر وَفق ما جاء في بحثي.

٤-المدخل إلى علم الدعوة للدكتور محمد البيانوني، وبيّن فيه أنّ مناهج الدعوة يمكن تقسيمها بالاعتماد على عدة اعتبارات، ومن ضمن تلك الاعتبارات، تقسيمها من حيث ركائزها، تبعاً لتنوع ركائز الفطرة الإنسانية: القلب والعقل والحس، وبالاعتماد على هذا الاعتبار قسّم مناهج الدعوة إلى: عاطفي، وعقلي، وحسّي. وقد استفدتُ استفادة طيبة من تقسيمه هذا، والتفصيل فيه في ثنايا بحثي.

منهج البحث:

نظراً لطبيعة البحث فإنني استخدمتُ المنهج التحليلي، وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة؛ لاستخلاص النتائج في ضوء التأمل والاستنباط(١) وفق علوم الدعوة.

وتناولتُ في هذا البحث مراعاة الداعية للناحية النفسية للمدعو بغض النظر عن دينه، أو مدى التزامه بتعاليم الدين الحنيف، إذ تناول العلماء ذلك بالتفصيل في عدد من الدراسات السابقة(٢).

ولإيضاح متطلبات البحث قسمتُه إلى خمسة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو من حيث مستواه الثقافي.

المبحث الثاني: تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو من حيث فئته العمريّة.

المبحث الثالث: تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو من حيث جنسه.

المبحث الرابع: تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو من حيث طباعه.

المبحث الخامس: تأهيل الداعية في فهم نفسية المدعو من حيث نمطه الشخصيّ.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

---

(١) انظر: مناهج البحث وكتابتها، ٨٩، يوسف بن مصطفى القاضي، دار المريخ، الرياض.

(٢) انظر: الدعوة، ١٦٧ وما بعدها، د. حمد العمار، كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م. والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية،٦١١ وما بعدها.

المبحث الأول: فهم نفسية المدعو من حيث مستواه الثقافي

من الحكمة أن يُدرك الداعية المستوى الثقافي لـمَن يخـاطبهم مـن المدعوين، فيتحدّث إليهم بما يناسبهم، وبما يحتاجون إليه، فليس من الحكمة أن يُدعى طلبة علم إلى علم يُدركون قواعده إدراكاً جيداً، ويُحيطـون بهـا، ويفهمون أصول ذلك العلم، كأصول الإيمان أو أركان الإسـلام، وبالمقابـل ليس من الحكمة أن يُكلّم الداعية جمهور المسلمين أو حديثي عهد بالإسـلام في تفاصيل علمية دقيقة، كأصول الفقه أو مصطلح الحديث(١).

وعند قيام الداعية بالدعوة الفردية لابدّ أن يضع نُصب عينيه المستوى الثقافي الذي وصل إليه المدعو، فدعوة العالِم تفترق عن دعوة الجاهل، فمع أن للعالِم قدره ومكانته وثِقَله، إلا أنه لا يُترك وخطَأَه، بل يُوجّـه التوجيـه السديد باستخدام منهج حسن مدروس لا يخدش فضله. أما الجاهـل فيُـدعى برفق ولطف ولين وتواضع، دون تعالم وتعالٍ وغلظة وجفاء، كما يُتـدرّج معه، ويُعطى بحسب ما عنده من علم وفهم. ومما لا يخفى أن للجاهل فـي الشريعة حكماً، وللعالم بالأمر حكماً آخر(٢).

لكلّ تلك الاعتبارات يوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بـن جبل رضي الله عنه إلى ضرورة التعرّف على طبيعة ثقافة مَـن يـدعوهم؛ ليختار لدعوتهم المنهج المناسب لهم، فيكون أقرب إلى التوفيق والسداد فـي دعوته .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ

(١) انظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، ١٤٤، الشيخ عدنان العرعور، جائزة الأمير نايف آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ١٤٥

يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

فمعرفة الداعية لطبيعة المدعوين، وتعرّفه طبيعة الأرض التي سيدعو فيها، وإدراك ما في ذلك المجتمع من ضلالات وانحرافات تسهّل عليه مخاطبتهم، وإقناعهم، ودعوتهم، فأهل الكتاب أهل علم، ومخاطبتهم لا تكون كمخاطبة جهّال المشركين، وعبدة الأوثان(٢).

ومن الأمثلة البيّنة على عنايته عليه الصلاة والسلام بالطبقة المثقفة زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمجالس قريش التي كانت تضمّ أشراف قريش وكبراءها؛ لعرض الإسلام عليهم، ودعوتهم إليه(٣).

ومن ذلك أيضاً: إرساله صلى الله عليه وسلم الكتب لملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، وقد بعث إليهم بالرسل يدعوهم إلى الله، ولمّا قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا بخاتم، اتخذ خاتماً من فضة نقش فيه «محمد رسول الله» ليختم به الصحف، فكان يلبسه تارة في يمينه، وتارة في يساره. وقد أرسل رسله بكتبه إلى امبراطور الروم (هرقل) وامبراطور فارس (كسرى) وملك الحبشة (النجاشي) وملك مصر (المقوقس) وغيرهم (٤).

ومن النماذج النبوية على الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة لثقافة المدعو ما رُوي عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريدُ ألّا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَفْتُونَهُ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ، فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا

(١) صحيح البخاري، ٢/ ١٢٨ ، كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، ح ١٤٩٦

(٢) انظر: نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، ١٣٧

(٣) انظر: السيرة النبوية ١/ ٢٩٥، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٦٠٧/٢

وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: دَعُونِي فَأَدْنُوَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ، قَالَ: «دَعُوا وَابِصَةَ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أَمْ تَسْأَلُنِي؟» قُلْتُ: لَا، بَلْ أَخْبِرْنِي، فَقَالَ: «جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: «يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»(١).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم بجوابه هذا كان عالماً بطبيعة ثقافة وابصة، ومتانة فهمه، وقوّة ذكائه، وتنوير قلبه؛ لأنه صلى اللَّه عليه وسلم أحاله على الإدراك القلبي، وعلم أنه يُدرك ذلك من نفسه؛ إذ لا يُدرك ذلك إلا مَنْ هو كذلك، وأما الغليظ الطبع، الضعيف الإدراك، فلا يجاب بذلك؛ لأنه لا يتحصَّل منه على شيء، وإنما يُفصّل له ما يحتاج إليه من الأوامر والنواهي الشرعية. وهذا من جميل عادته صلى اللَّه عليه وسلم مع أصحابه؛ فإنه صلى اللَّه عليه وسلم كان يخاطبهم على قدر عقولهم، قالت عائشة رضي الله عنها: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ"(٢)(٣). و"فيه أمر نبويّ بأن نُنزّل الناس منازلهم، وذلك في جميع

(١) مسند أحمد، ٥٣٣/٢٩، قال الإمام النووي: حديث حسن (انظر الأربعون النووية، ٨٧/١)، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٢) ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه ، ١/ ٦ بلا إسناد تعليقاً، فقال: "يُذكر عن عائشة"، وحسّنه السخاوي في المقاصد الحسنة فيما اشتهر من الأحاديث على الألسنة،١١٠، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الله محمد الصديق. وضعّفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣٦٨/٤، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.

(٣) انظر: الفتح المبين بشرح الأربعين، ٤٦٥، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١٤٢٨،١هـ/٢٠٠٨م.

المعاملات، وجميع المخاطبات، والتعلم والتعليم"[1]. ومعناه: "احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عُمْرٍ ودين وعلم وشرف"[2].

فبمعرفة المنزلة الثقافية التي بلغها المدعو يُحدّد الداعية مستوى الخطاب الدعوي العلمي فيختار له الألفاظ المناسبة، والمعلومات الملائمة.

ويوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل معاوية بن الحكم رضي الله عنه برفق ولطف وأناة مع عِظم الخطأ الذي وقع فيه، ولكن كونه جاهلاً بالحكم الشرعي يغفر له خطأه.

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أُصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»[3].

قال الإمام النووي: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخُلُق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ٤٣، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٢) فيض القدير، ٣/ ٥٧، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(٣) صحيح مسلم، ١/ ٣٨١ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، ح ٥٣٧

بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلّق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه"(١).

ويؤكّد المربّون "أهمية سبر طبيعة المتعلّم قبل تعليمه؛ ليحصل على أكبر فائدة مرجوّة من العملية التعليمية، وكانوا يوجّهون إلى أهمية أن يعطي المعلمُ الطالبَ من العلم المقدار الملائم له، ولا يُكثر عليه، ويحمّله ما لا يطيق، ويراعي في شرحه مدى استيعاب الطلاب ودرجة نموهم العقلي"(٢). ويُقاس على ذلك العلاقة الدعوية بين الداعية والمدعو، وضرورة اعتبار حال المدعو، وطبيعة ثقافته، ومداركه، وميوله، ومقدار العلم الذي وصل إليه.

قال ابن خلدون رحمه الله: "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيداً إذا ألقى عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويُراعي في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول ما يرِد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفنّ، وعند ذلك يحصل له ملكةٌ في ذلك العلم، إلّا أنّها جزئيّة وضعيفة. وغايتها أنّها هيّأته لفهم الفنّ وتحصيل مسائله"(٣).

وقال ابن جماعة الكناني: "وكذلك لا يلقي المعلّم إلى الطالب ما لم يتأهّل له؛ لأن ذلك يبدّد ذهنه، ويُفرّق فهمه، فإن سأله الطالب شيئاً من ذلك لم يجبه، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه، وأن منعه إياه منه لشفقة عليه ولطف به لا بخلاً عليه، ثم يرغبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهّل لذلك ولغيره"(٤).

---

(١) شرح النووي على مسلم ، ٥/ ٢٠

(٢) الطفل في الشريعة، ٣٩٨

(٣) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،١/ ٧٣٤، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ٥١-٥٢، ابراهيم بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت.

"فمن الحكمة أن يتعرّف المعلّمُ على الطالب، والداعية على المدعو، وأن يختار له الفنّ المناسب لحاله، ومعرفة ما يحسنه، أو يكون الأنسب له؛ فكثير من العلماء والدعاة بعيدون عن طلابهم، غير سابرين لأغوار نفوسهم، ولا لمدى قدراتهم واستيعابهم"(١).

قيل: إنّ يونس بن حبيب النحوي كان يختلف إلى الخليل رحمهم الله يتعلّم منه العَروض، فصَعب عليه تعلّمه، فقال له الخليل يوماً: من أي بحر قول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ففطن يونس لِما عناه الخليل من حيث التوجّه إلى مجال علمي آخر، فترك العروض(٢).

ويتحدث الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله عن بداية طلبه للعلم، ومَن الذي دفعه لذلك، فيقول: مررتُ يوماً على الشعبي، وهو جالس فدعاني وقال: إلى مَن تختلف؟ فقلت: أختلف إلى السوق، وسمّيت له أستاذي فقال: لم أعنِ الاختلاف إلى السوق، عنيتُ الاختلاف إلى العلماء، فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال لي: لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم، ومجالسة العلماء؛ فإني أرى فيك يقظة وحركة قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركتُ الاختلاف إلى السوق، وأخذتُ في العلم فنفعني الله بقوله"(٣). ففراسة الشعبي في أبي حنيفة، وفهمه لميوله ومداركه، دفعه إلى توجيه النصيحة إليه، وكان أن نفع الله الأمة بعلمه وفقهه.

(١) البصيرة في الدعوة إلى الله، ٨٨

(٢) انظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ١/ ٢٨٤، أبو محمد عفيف الدين اليافعي، وضع حواشيه :خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤١٧،١ه/١٩٩٧م.

(٣) مناقب أبي حنيفة، ٥٤، الإمام موفق أحمد المكي، طبعة دار الكتاب العربي، طبعة أخرى طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الهند.

المبحث الثاني: فهم نفسية المدعو من حيث فئته العُمْريّة

إن صغير السنّ في الدعوة والتوجيه والنصح ليس كالكبير، فالصغير يُرحم، ويُرفق به، ويُستصغر له، أما الكبير فيُوقّر، وتُحفظ له مكانته، ويُثقّل قدره، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَم يَرحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا»(١). ولذلك شواهد من السنة النبوية القولية والعملية.

ففي جانب احترام الكبير وتوقيره ما روي عن ابن عمر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلاَنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا» (٢).

قال ابن بطال: "فيه تقديم ذي السنّ في السواك، وكذلك ينبغي تقديم ذي السنّ في الطعام والشراب والكلام والمشي والكتاب، وكلّ منزلة؛ قياساً على السواك"، وقال المهلب: "تقديم ذي السنّ أولى في كل شيء، ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة تقديم الأيمن فالأيمن"(٣).

وشاهد آخر من السنة النبوية حول المعنى نفسه ما روي عن سهل بن أبي حَثْمَةَ قال، قَالَ: انْطَلَقَ عَبدُ اللَّهِ بنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ بنُ مَسْعُودِ بنِ زَيْدٍ، إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَانْطَلَقَ عَبدُ الرَّحْمَنِ بنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيِّصَةُ ابنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَهَبَ عَبدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا..... إلى آخر ما جاء في الحديث الشريف(٤).

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، ١٢٩/١ ، بَابُ فَضْلِ الْكَبِيرِ، ح ٣٥٣ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ١٤٢/١

(٢) صحيح البخاري، ١/ ٥٨ ، كتاب الوضوء، بَابُ دَفْعِ السِّوَاكِ إِلَى الأَكْبَرِ، ح ٢٤٦

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ١/ ٣٦٤

(٤) صحيح البخاري، ٤/ ١٠١ ، كتاب الجزية ، بَابُ الموادَعَةِ وَالمصَالَحَةِ مَعَ المشْرِكِينَ بِالْمَالِ وَغَيْرِهِ، وَإِثْمِ مَنْ لَمْ يَفِ بِالعَهْدِ، ح ٣١٧٣

أما في باب العطف على الصغار، ومخالطتهم، والحنوّ عليهم، ودعوتهم بما يناسب أعمارهم ما رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:«إنْ كان النبيّ صلى الله عليه وسلم لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»[1]. فأعظِم بذاك الداعية الذي لم تشغله أعباء دعوته، ومسؤولياتها عن الاندماج في مجتمع الصغار، وملاطفتهم، وتفقّد أحوالهم، وتعرّف هواياتهم؛ لجَعْل ذلك مدخلاً لكسب قلوبهم، وتوجيههم من خلاله.

وروي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبيّ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ القَوْمِ، وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الأَشْيَاخَ»، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَداً يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[2].

فرسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الغلام المنزلة المُستحقَّة له، ولم يقلّل من شأنه، أو يُغفل مكانته، فنتج عن هذه التربية العظيمة رجال قادوا الأمة من نجاح إلى نجاح، ومن فتح إلى فتح.

ويستثمر الداعية في تربيته للصغار ودعوتهم كل وقت مناسب، وموقف ملائم؛ ليربط الصغير بين ذلك الوقت أو الموقف والتوجيه؛ فيسهل عليه تثبيت الفكرة أو تصحيح الهفوة.

عن عمر بن أبي سلمة قال: كُنْتُ غُلاماً فِي حِجرِ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[3]. فوقت

(١) صحيح البخاري ، ٨/ ٣٠ ، كتاب الأدب، بَابُ الِانْبِسَاطِ إِلَى النَّاسِ، ح ٦١٢٩

(٢) صحيح البخاري، ٣/ ١٠٩، كتاب المساقاة، بَابٌ فِي الشُّرْبِ، وَمَنْ رَأَى صَدَقَةَ المَاءِ وَهِبَتَهُ وَوَصِيَّتَهُ جَائِزَةً، مَقْسُومًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَقْسُومٍ، ح ٢٣٥١

(٣) صحيح البخاري، ٧/ ٦٨ ، كتاب الأطعمة، بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْلِ بِاليَمِينِ، ح ٥٣٧٦

تناول الطعام من أفضل الأوقات لتعليم الصغير آداب الطعام؛ ليطبقها فوراً، ويتذكّرها دوماً، كما أن كون المدعو غلاماً صغيراً لا يمنع من دعوته إلى التأدّب بآداب الطعام، وتوجيهه التوجيه السديد في هذا المجال؛ ففي ذلك غرس لتلك القِيم المثلى، وترسيخ لها.

وعن ابن عباس، قال: كنتُ خلف رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يوماً، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(١). فتخصيص وقتٍ لمرافقة الصغير في نزهة، مع مشاركته له في الراحلة نفسها –كما جاء في رواية أخرى– وإشعاره بأهميته بتوجيهه توجيهاً مباشراً، لها أثر عميق، ونفع قوي في نفس الصغير، وتقويم سلوكه، وإنضاج فكره.

ولَـمّا لاحظ صلى الله عليه وسلم على ابن عباس رضي الله عنه ذكَاءً وفطنةً ونباهةً أرشده إلى طلب العلم والتبحّر في رياضه، بأسلوب رقيق لطيف، استوعبه الصغير، وسارع إلى تنفيذ ما خُلق لأجله، وقُدّر له بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»(٢).

ويتفق العلم الحديث مع ما جاء في السنة النبوية في باب توجيه الصغار، وتربيتهم، وفهم شخصياتهم، فيُؤكد المربّون "أهمية مراقبة ميول الطفل الفطرية، ودراستها، ومعرفتها معرفة تامة، فإذا عرفنا ميول الطفل

(١) سنن الترمذي، ٤/ ٢٤٨، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح ٢٥١٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/٦١٠

(٢) صحيح البخاري ، ١/ ٤١ ، كتاب الوضوء، بَابُ وَضْعِ الماءِ عِنْدَ الخَلاَءِ، ح ١٤٣

تسنّى لنا تربيته على أساس مبين، فنشجع الحسن، ونقضي على القبيح"[١]، كما "أن معرفة ميول الأطفال تساعد على السلوك معهم مسلكاً طبيعياً بالاتجاه إلى غرائزهم، وإيقاظ ميولهم الطبيعي، وربط ما لا يميلون إليه بما يميلون إليه بطبيعتهم"[٢].

وفي هذا الباب أيضاً يؤكّد أهل التربية أنه "لا يجوز لأيّ معلم كان أن يعلّم جماعة من الأولاد كأنما هم نظراء متشابهون؛ فما يحرّك رغبة ولد في الدرس قد ينفّر فيه آخر رغم تشابههما في السنّ أو الصف أو الجنس البيولوجي أو الحجم أو درجة الذكاء أو مستوى التحصيل"[٣]، "فكلّ ولد فريد في شخصيته، فيحاول معرفته من حيث فوارقه الفردية"[٤].

(١) علم النفس التربوي،٢٤٢/١، حامد عبد القادر وآخرون، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٤، ١٣٨٥ه/١٩٦٥م.

(٢) المرجع نفسه، ٣٤٢

(٣) التربية المتجددة ، ٤٥٢، حنان غالب، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، ١٩٦٥م.

(٤) الوعي التربوي ومستقبل البلاد، ٣٤٥، جورج شهلا وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٢م.

المبحث الثالث: فهم نفسية المدعو من حيث جنسه

قد يختلف الخطاب الموجّه للذكر في بعض الأحايين عن الخطاب الموجّه للأنثى، وإنْ كان كلاهما معنيّاً بالخطاب التشريعي العام، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[١]. فالأنثى لها كينونة خاصة، وطبيعة فطرية تجعلها مختلفة عن الذكر في بعض الأحوال، ومتباينة عنه في بعض الحالات؛ لذا وجب على الداعية مراعاة ذلك؛ لتكون دعوته الموجهة لهما أبلغ فهماً، وأعمق أثراً.

وفي تطبيقات السنة النبوية نجد ذلك جليّاً بيّناً. من ذلك ما روي عن أم خالد بنت خالد بن سعيد، قالت: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَنَهْ سَنَهْ» –وَهِيَ بِالحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ– قَالَتْ: فَذَهَبتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهَا»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي»[٢]. فرسول الله صلى الله عليه وسلم في خطابه للصحابية أم خالد، راعى فطرة الأنثى المجبولة على التزيّن، والتجمّل باللبس الحسن، كما راعى حبّ الأنثى للثناء، والمديح، فكان لهديته لها، وثنائه عليها أعظم الأثر في قلبها.

كما راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم طبيعة المرأة في موضوع الغيرة من ضرتها، وما قد يهيج في نفسها من مشاعر؛ وهذا من الفطرة التي فطرها الله عليها، وليس اعتراضاً على شرع الله وأحكامه، رُوي أن النبيّ

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٥

(٢) صحيح البخاري ، ٤/ ٧٤ ، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالفَارِسِيَّةِ وَالرَّطَانَةِ ، ح ٣٠٧١

صلى الله عليه وسلم كان عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المؤمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[1].

قال ابن حجر رحمه الله قوله: "وقوله غارت أمكم اعتذار منه صلى الله عليه وسلم؛ لئلا يُحمل صنيعها على ما يُذم بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة، فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها، وفي الحديث حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وإنصافه وحلمه"[2].

ويضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسبانه طبيعة التكوين الجسدي للمرأة، من حيث ضعف بُنْيتها، ولطفها، ورقّتها، فيأمر حاديه أن يسوق إبله بحرص وعناية. وفي هذا إشارة لطيفة منه عليه الصلاة والسلام للداعي أن ينتقي ألفاظاً لطيفة، وعبارات رقيقة، ويبتعد عن العنف والغلظة في دعوته للأنثى؛ إذ يؤذيها العنف، وتخدشها الغلظة أكثر من الذكر. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لاَ تَكْسِرِ القَوَارِيرَ» قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ[3]. وقال ابن حجر رحمه الله: "كنّى عن النساء بالقوارير لرقتهن، وضعفهن عن الحركة،

(١) صحيح البخاري ، ٧/ ٣٦ ، كتاب النكاح، بَابُ الغَيْرَةِ ، ح ٥٢٢٥

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥/ ١٢٦،

(٣) صحيح البخاري ، ٨/ ٤٧ ، كتاب الأدب، بَابٌ: المعَارِيضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الكَذِبِ، ح ٦٢١٠

والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية، وقيل: المعنى سُقْهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل"(١).

ويتابع ابن حجر رحمه الله قوله: "القوارير كناية عن النساء اللاتي كنّ على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء؛ لأنه يحث الإبل حتى تسرع، فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويداً أمِن على النساء السقوط، وهذا من الاستعارة البديعة؛ لأن القوارير أسرع شيء تكسيراً"(٢). وقال صاحب "عمدة القاري": "شبّه ضَعَفة النساء بالقوارير لسرعة التأثير فيهن"(٣).

وفي باب الأحكام الفقهية النسائية يوجّه رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاة الأمة إلى المنهج القويم في تعليم النساء ما يخصّهن من أحكام وفقه، فيُرشد إلى ضرورة تعليمهن أمور دينهن، ولكن بتغليف ذلك التعليم بغلاف الأدب والحياء. عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ المحيضِ؟ قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَوَضَّئِي ثَلاَثًا» ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: «تَوَضَّئِي بِهَا» فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النبيّ صلى الله عليه وسلم(٤).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٠/ ٥٤٥

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/ ٥٤٥

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٢/ ٢١٩، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) صحيح البخاري ، ١/ ٧٠ ، كتاب الحيض، بَابُ غَسْلِ المَحِيضِ، ح ٣١٥

المبحث الرابع: فهم نفسية المدعو من حيث طباعه

على الداعية مراعاة طبيعة شخصية المدعو إن رام نجاح دعوته، وجني ثمارها، وهو من باب اختيار القول المناسب للشخص المناسب، وفي ذلك اقتداء برسول صلى الله عليه وسلم، وهو الذي كان يحرص على التعرّف على مراعاة طبع المدعو، ويُوجّهه بناء على ذلك، روي أَنَّ رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: "قيل: لعل السائل كان غضوباً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر كل أحد بما هو أَولى به؛ فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب"(٢). "ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علِم أو أحسّ أنه كان كثير الغضب، قليل الملك لنفسه عنده، فخصّه بالنهي عن ذلك"(٣).

وقيل: "لأنه صلى الله عليه وسلم كان مُكاشفاً بأوضاع الخلق، فيأمرهم بما هو الأَولى بهم، ولعلّ الرجل كان غضوباً فوصّاه بتركه"(٤).

وروي عن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: قُلتُ: يا رسول الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»، وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: «يَا أَبَا

(١) صحيح البخاري ، ٨/ ٢٨ ، كتاب الأدب، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، ح ٦١١٦

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ١٠/ ٥٢٠

(٣) المنتقى شرح الموطإ ، ٧/ ٢١٤، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط ١، ١٣٣٢هـ. وكشف المشكل من حديث الصحيحين ، ٢/ ١٣

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ٢٢/ ١٦٤

ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»(١).

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، ولا سيما لِمَن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية"(٢).

وقال أبو العبّاس القرطبيّ رحمه اللَّه: "أي ضعيفٌ عن القيام بما يتعيّن على الأمير، من مراعاة مصالح رعيّته الدنيويّة والدينيّة. ووجه ضعف أبي ذرّ رضي اللَّه عنه عن ذلك أن الغالب عليه كان الزهد، واحتقار الدنيا، وترك الاحتفال بها، ومَن كان هذا حالَهُ لم يَعتنِ بمصالح الدنيا، ولا بأموالها اللّذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين، ويتمّ أمره. وقد كان أبو ذرّ رضي اللَّه عنه أكثَر من الزهد في الدنيا"(٣).

وهذا الردّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل على النفس، وأنه قد يؤثر فيك أن يقال لك (إنك امرؤ ضعيف) لكن الأمانة تقتضي أن يصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه إن قوياً فقوي، وإن ضعيفاً فضعيف، فهذا هو النصح، ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلاً إنّ فيك كذا وكذا من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير، وجاء في الرواية الثانية: وإني أحب لك ما أحبه لنفسي، وهذا من حسن خلق النبي عليه الصلاة والسلام؛ لمّا كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح، وقد قال له ذلك؛ لأنه ضعيف، والإمارة تحتاج إلى إنسان قوي أمين، بحيث تكون له سلطة وكلمة، وإذا قال فعل، فالناس إذا

(١) صحيح مسلم ، ٣/ ١٤٥٧ ، كتاب الإمارة، بَابُ كَرَاهَةِ الْإِمَارَةِ بِغَيْرِ ضَرُورَةٍ ، ح ١٨٢٦

(٢) شرح النووي على مسلم ، ١٢/ ٢١٠

(٣) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى ، ٣٠/ ١٧٤، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي، دار المعراج الدولية للنشر، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط١.

استضعفوا الشخص لم يبق له حرمة عندهم، وتجرّأ عليه لكع بن لكع، لكن إذا كان قوياً في ذات الله، لا يتجاوز حدود الله عز وجل، ولا يقصر عن السلطة التي جعلها الله له، فهذا هو الأمير حقيقة(١).

وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح، جَاءَهُ الْعَبَّاسُ بنُ عَبدِ الْمُطَّلِبِ بِأَبِي سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ فَأَسْلَمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئاً، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»(٢).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا علِم من أبي سفيان حبّه للفخر، أعلن على الملأ مزيّة خاصة لداره؛ تأليفاً لقلبه، وترغيباً له في الإسلام.

وقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لِأَشَجِّ عَبدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» (٣).

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل أشجّ عبد القيس لاتصافه بالحلم والأناة، وصرح بذلك أمام الصحابة؛ بياناً لفضل تلك الخصال الحميدة، وترغيباً في الاتصاف بهما، وتوضيحاً لضرورة معرفة الداعية بطبع المدعو؛ ليعرف أيسر المداخل وأنجحها إلى قلبه للتأثير فيه.

قال النووي في شرحه للحديث: "وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك له ما جاء في حديث الوفد: أنهم لمّا وصلوا المدينة بادروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام الأشج عند رحالهم، فجمعها، وعقل ناقته،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ، ٤/ ١١، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ه.

(٢) سنن أبي داود، ٣/ ١٦٢،كتاب الخراج والإمارة والفيء، بَابُ مَا جَاءَ فِي خَبَرِ مَكَّةَ، ح ٣٠٢٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٢/١

(٣) صحيح مسلم، ١/ ٤٨ ، كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، ح١٧

ولبِس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرّبه النبي صلى الله عليه وسلم، وأجلسه إلى جانبه، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تبايعون على أنفسكم وقومكم فقال القوم: نعم، فقال الأشج: يا رسول الله إنك لم تزاول الرجل عن شيء أشدّ عليه من دينه؛ نبايعك على أنفسنا، ونرسل مَن يدعوهم، فمَن اتّبعنا كان منا، ومَن أبى قاتلناه، قال: صدقتَ، إن فيك خصلتين....الحديث. قال القاضي عياض: "فالأناة تربّصه حتى نظر في مصالحه، ولم يعجل، والحِلم هذا القول الذي قاله، الدالّ على صحة عقله، وجَودة نظره للعواقب"(١).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١/ ١٨٩، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ه.

المبحث الخامس: فهم نفسية المدعو من حيث نمطه الشخصيّ

يشتمل مصطلح الشخصية على كثير من المعاني العامة؛ إذ يشير من ضمن دلالاته إلى القدرة على حسن التعامل مع الناس اجتماعياً. أما عالم النفس فينظر إلى مصطلح الشخصية بأن له علاقة بالسلوك الإنساني المعقّد بما في ذلك العواطف والأفعال والعمليات الفكرية أو المعرفية(١).

وقد قسم العلماء أنماط الشخصية إلى عدة أقسام اعتماداً على عدة مسوغات، وكان من أبرز تقسيماتهم وأشهرها: النمط البصري، والنمط السمعي، والنمط الحسّي. وبما أن الطبيعة الإنسانية ترتكز على العاطفة والعقل والحس(٢)، يمكننا إضافة النمط العاطفي، والنمط العقلي ليصبحا من أنماط الشخصية، التي ينبغي للداعية أخذها في الحسبان عند دراسة نفسية المدعو، والمنهج المناسب لدعوته.

فالشخص ذو النمط البصري هو الأكثر انتباهاً لِما يراه، ويُبصره بعينيه؛ لذلك فإنك عندما تتعامل معه ينبغي أن تصوّر له، وتجعله يرى ما تتكلّم عنه(٣).

أما الشخص ذو النمط السمعي فهو الأكثر تركيزاً على ما يسمعه؛ لذلك فإنك عندما تتعامل معه ينبغي أن تتحدّث بوضوح، وغيّر نبرة صوتك، وقم بشرح الوضع بالتفصيل، وشجع المناقشة بطرح أسئلة صريحة(٤).

---

(١) انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٨٢/١٤، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط١، ١٤١٦ه.

(٢) انظر : المدخل إلى علم الدعوة، ١٩٨ وما بعدها، د.محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢ه/١٩٩١م.

(٣) انظر: السرّ في اتصالك، ٦٥، د.مروة عجيزة وبركات الوقيان، دار النشر للجامعات، مصر، ط٢، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م. وآفاق بلا حدود،٨٣، د.محمد التكريتي، دار المعارج، الرياض، ط٣، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

(٤) انظر: السرّ في اتصالك، ٦٦ ، آفاق بلا حدود، ٨٤

أما الشخص ذو النمط الحسّي فهو الذي يلتفت أكثر إلى ما يشعر به، وقراره مبنيّ على المشاعر والعواطف المستنبَطة من التجربة، وعند التعامل معه اجعله يشعر بما تقوله(١).

والمنهج المتّبع مع الشخص العقلي هو المنهج المرتكز على العقل، ويدعو إلى التفكّر والتدبر والاعتبار(٢).

أما المنهج المتّبع مع الشخص العاطفي فهو المنهج المرتكز على القلب، ويحرّك الشعور والوجدان(٣).

"ومعرفة النمط الغالب على الشخص المستهدَف تساعد على التعامل معه، وذلك إذا كان شخصاً واحداً، أما التعامل مع مجموعة من الناس فإن الأسلوب المناسب هو استخدام مزيج متوازن من الكلمات الصورية والسمعية والبصرية والحسية وعدم الاقتصار على نمط واحد"(٤).

وفي تطبيقات السنة النبوية ما يُرشد الداعية ويُوجّهه إلى طرق التعامل مع كل نمط من أنماط الشخصية المتنوعة.

١-النمط البصري:

اعتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذوي الشخصيات البصرية عناية فائقة، ومن ذلك حرصه على منحهم راحة وطمأنينة بابتسامته العذبة، كما قام بجذب أبصارهم، ولفت انتباههم بتصوير ما يدعوهم إليه، وإيضاح تفاصيل تلك الصور بوصف محبّب رائق.

(١) انظر: السرّ في اتصالك، ٦٦ ، تعرّف شخصيتك وشخصيات الآخرين، ٧٩، سلمان الشمراني، جدة، ١٤٢٨ه، وآفاق بلا حدود، ٨٤

(٢) انظر : كيف تعرف شخصيتك وشخصيات الآخرين، ٤٥ ، المدخل إلى علم الدعوة، ٢٠٨

(٣) انظر : كيف تعرف شخصيتك وشخصيات الآخرين، ٨٠ ، المدخل إلى علم الدعوة، ٢٠٤

(٤) آفاق بلا حدود ، ٨٢

روي عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ تَبَسُّماً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١). فرسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن تكون الهشاشة والبشاشة ديدنه؛ تقرّباً لأصحابه، وتأليفاً لمجتمعه، ولا ريب أن مظهر الشخص المبتسم محبّب للنفس، مريح للعين، مُجَنّبٌ للتوتر، والتشاحن الذي قد يسببه اختلاف وجهات النظر أو النزاعات القديمة.

وعن جرير بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم: فنظر إلى القمر ليلةً –يَعْنِي البَدْرَ– فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب}(٢)(٣).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث راعى الطبيعة البصرية لبعض أصحابه، وأراد أن يصوّر لهم وضوح الهيئة التي سيرون فيها ربهم، وجمالها، وإشراقها، وتميّزها، فربطها بصورة واضحة بيّنة أمامهم هي صورة البدر ليلة اكتماله؛ لتتضح لديهم الصورة الكاملة، وترسخ في أذهانهم الحقيقة المنشودة، ولتؤمن قلوبهم بهذا الخبر الصحيح.

وعندما وقع بعض أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطأ، نبّههم عليه الصلاة والسلام بطريقة بصرية بنظرة غاضبة أو تغيّر في تعابير وجهه، وهي طريقة قد تُغني عن كثير من المواعظ والنصائح، كما أن تأثيرها في المدعو سريع؛ إذ غالباً يسارع إلى الاستجابة للمدعو، وتصحيح

(١) سنن الترمذي، ٦/ ٣٨، بَابٌ فِي بَشَاشَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ح ٣٦٤١ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/٤٩٥

(٢) سورة ق : آية ٣٩

(٣) صحيح البخاري ، ١/ ١١٥ ، كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلاَةِ العَصْرِ، ح ٥٥٤. ومعنى لا تضامون: لا يحصل لكم ضيم حينئذ، وروي بتشديد الميم: من الضمّ، والمراد: نفي الازدحام.

الخطأ الذي وقع فيه، كما أن لها تأثيراً عميقاً في نفس المدعو، ولا سيما إن كان للداعي مكانة، ومنزلة خاصة في قلبه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يُؤْتَى بِالتَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، فَيَجِيءُ هَذَا بِتَمْرِهِ، وَهَذَا مِنْ تَمْرِهِ حَتَّى يَصِيرَ عِنْدَهُ كَوماً مِنْ تَمْرٍ، فَجَعَلَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَلْعَبَانِ بِذَلِكَ التَّمْرِ، فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا تَمْرَةً، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ فِيهِ، فَقَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ»(١).

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قَامَ عَلَى البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاذَا أَذْنَبتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»(٢) .

٢-النمط السمعي:

عُني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذوي الشخصيات السمعية الذين تُؤثّر فيهم الكلمة المسموعة، ويعتمدون على المعلومة المُفصّلة، والنقاش، والحوار، وطرح الأسئلة.

ومن ذلك إلقاؤه الحديث بهدوء ورويّة؛ ليفهمه، ويستوعبه كلّ من حضره، قالت عائشة رضي الله عنها: «لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) صحيح البخاري ، ٢/ ١٢٦ ، كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ صَدَقَةِ التَّمْرِ عِنْدَ صِرَامِ النَّخْلِ، وَهَلْ يُتْرَكُ الصَّبِيُّ فَيَمَسُّ تَمْرَ الصَّدَقَةِ ، ح ١٤٨٥

(٢) صحيح البخاري ، ٣/ ٦٣ ، كتاب البيوع، بَابُ التِّجَارَةِ فِيمَا يُكْرَهُ لُبْسُهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ح ٢١٠٥

وَسَلَّمَ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»[1]. قال الإمام النووي رحمه الله: "أي: يُكثره ويُتابعه"[2].

كما كان عليه الصلاة والسلام يحرص على تكرار ما يرويه من مواعظ وعِبر؛ لتُفهم عنه وتُعقل، ولا سيما تلك التي يصعب على العامة فهمها، رُوي أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه كان «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنه»[3]؛ "وذلك حتى تُفهم فهماً قوياً راسخاً في النفس، وفيه إشارة إلى أن المراد بالكلمة: الكلام الذي لا يفهم إلا بالإعادة، والاقتصار على الثلاث بمقتضى مراتب فهوم الناس من الأدنى والأوسط والأعلى، ولذا قيل: من لم يفهم في ثلاث مرات لم يفهم أبداً"[4] .

وقيل: "لتحفظ، وتنقل عنه؛ وذلك: إمّا لأن من الحاضرين مَن يقصر فهمه عن وعيه، فيكرّره؛ ليفهم ويرسخ في الذهن، وإما أن يكون المقول فيه بعض إشكال، فيتظاهر بالبيان دفع الشبه، وهذا من شفقته، وحسن تعليمه، والنصح في تبليغه. قال ابن التين: وفيه أن الثلاث غاية ما يقع به الإقرار والبيان"[5].

ومن مراعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الشخصية السمعية، إنصاته للمتكلّم عندما يتحدّث إليه، واحترامه له بعدم مقاطعته مهما بلغ سُخف وعُنف وشدّة كلام ذاك المتكلّم، رُوي أنَّ عُتْبَةَ بن رَبِيعة، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ

(١) صحيح مسلم، ٤/ ١٩٤٠ ، كتاب فضائل الصحابة، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ح ٢٤٩٣

(٢) شرح النووي على مسلم، ١٦/ ٥٤

(٣) صحيح البخاري ، ١/ ٣٠، كتاب العلم ، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، ح ٩٥

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ١/ ٢٩١، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م. علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٥) فيض القدير، ٥/ ١١٣

وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا بن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا بن أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. {حم * نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ}[1] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ، فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا:

(١) سورة فصلت : الآيات ١-٥

مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاَللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاَللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزلوه، فو الله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاَللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ"[1].

٣-النمط الحسي:

أما ذوو النمط الحسّي الذين تجذبهم التجربة، ويتعلّمون بالتمثيل، فقد بنى رسولنا الكريم تعامله معهم على أساس التطبيق العملي، والتدريب الميداني؛ ليكون أدعى للقبول، وأرسخ للمعلومة، وأثبت للفهم.

عن مالك عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[2]، وعن جابر قال: رَأَيْتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»[3].

قال الإمام النووي: "أي: هذه الأمور التي أتيتُ بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم، فخذوها عني، واقبلوها، واحفظوها، واعملوا بها، وعلّموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، وهو نحو قوله صلى الله عليه وسلم في الصلاة صلّوا كما رأيتموني أصلي"[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ، ١/ ٢٩٣

(٢) صحيح البخاري ، ١/ ١٢٨ ، كتاب الأذان، بَابُ الأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ، إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً، وَالإِقَامَةِ، وَكَذَلِكَ بِعَرَفَةَ وَجَمْعٍ، وَقَوْلِ المؤَذِّنِ: الصَّلاَةُ فِي الرِّحَالِ، فِي اللَّيْلَةِ البَارِدَةِ أَوِ المَطِيرَةِ، ح ٦٣١

(٣) صحيح مسلم، ٢/ ٩٤٣، كتاب الحج، بَابُ اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا، وَبَيَانِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»، ح١٢٩٧

(٤) شرح النووي على مسلم، ٩/ ٤٥

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون}(١)(٢).

فالمطلوب بالتمثيل هنا توضيح حال الدين، وحال السالك فيه، وأنه لا ينبغي له أدنى ميل عنه، فإنه بأدنى ميل يقع في سبُل الضلال؛ لقربها واشتباهها(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَنَحَّ حَتَّى أُرِيَكَ"، فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبِطِ، وَقَالَ: "يَا غُلَامُ، هَكَذَا فَاسْلُخْ"(٤).

وفي هذا الحديث دلالة على زائد رأفته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وعظيم تواضعه، إذ لم يكتفِ بالتعليم القولي، بل باشر سلخ الشاة بنفسه؛ ليُعلّم صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمته ما تحتاج إليه بشكل عمليّ تطبيقيّ، حتى سلخ ذبائحهم(٥).

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٥٣

(٢) سنن ابن ماجه ، ١/ ٦، بَابُ اتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ح ١١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢١/١

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ١/ ٨، محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، دار الجيل، بيروت.

(٤) سنن ابن ماجه، ١٠٦١/٢، كتاب الذبائح، بَابُ السَّلْخِ ، ح ٣١٧٩ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٩٧/٣

(٥) انظر: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، ٢/ ٢١٠، محمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٥١/ ١٣٥٣هـ.

٤-النمط العقلي:

يُتّبع المنهج المرتكز على العقل مع الشخص ذي النمط العقلي ، والذي يدعوه إلى التفكّر والتدبّر والاعتبار. ومن تطبيقاته في السنة النبوية:

ما رُوي عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَهُ، قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِي؟»، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كِتَابٌ؟» قَالَ: أَقْضِي بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟»، قَالَ: أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ»(١).

فرسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم مع معاذ بن جبل رضي الله عنه إحدى المهارات العقلية، وهي مهارة العصف الذهني، وهي أسلوب تعليمي يُستخدم من أجل توليد أكبر قدر من الأفكار الجديدة؛ لمعالجة موضوع معين، أو هي وضع الذهن في حالة من النشاط والتفكير السريع تجاه قضية محددة، والبحث عن أفكار جديدة، مع ضرورة إزالة جميع العوائق أمام المشاركين، وإطلاق العنان لتفكيرهم ليبدعوا، ويقدّموا أفضل ما لديهم من الأفكار(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إِنَّ فَتًى شَابّاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنى، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لابنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، ٦/ ١٣ ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩ه.

(٢) انظر: العصف الذهني وفن صناعة الافكار، ١٣، منال البارودي، المجموعة العربية للتدريب والنشر.

فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ(١).

وهنا استخدم صلى الله عليه وسلم أسلوباً عقلياً آخر، وهو أسلوب القياس، "والقيَاس هُوَ إِثْبَات حكم الأَصْل فِي الفَرْع لاشْتِرَاكهمَا فِي عِلّة الحكم"(٢). فرسول الله هنا بدأ مع السائل بإثارة أسئلة حول الموضوع الذي سأل عنه، ثم استخدم عليه الصلاة والسلام أسلوب القياس في إجابة السائل ذاتها؛ ليُقنعه بالقضية على نحو أعمق وأرسخ.

٥-النمط العاطفي:

أما الشخص ذو النمط العاطفي فيُتّبع معه المنهج الذي يرتكز على القلب، ويحرّك الشعور والوجدان. وقد استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظته لأصحابه لـمّا شعر بدنوّ أجله، فكان الصحابة في ذلك الوقت مستعدّين لتقبّل أي نصح وتوجيه؛ لحزنهم على قرب أَجَلِ رسول الله، وتوديعهم إياه، وكان لاختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم للنمط العاطفي وحال الصحابة كذلك أكبر الأثر في نفوس الصحابة وقلوبهم.

قال الْعِرْبَاضُ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبداً حَبَشِيّاً، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ

(١) مسند أحمد ، ٣٦/ ٥٤٥ ، تتمة مسند الأنصار، ح ٢٢٢١١ ، قال المحقق: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح

(٢) المعتمد في أصول الفقه ، ٢/ ٢٠٦، ، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ه.

بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١) .

كما استعمل رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا المنهج مع صحابته فيما يرتبط بمناسبة من المناسبات أو يوم من الأعياد.

عن عائشة رضي الله عنها، أنها زَفَّتِ امْرَأَةً إِلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَائِشَةُ، مَا كَانَ مَعَكُمْ لَهْوٌ؟ فَإِنَّ الأَنْصَارَ يُعْجِبُهُمُ اللَّهْوُ»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ فِي أَيَّامِ مِنَى تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ» (٣).

فمناسبة الزواج أو الابتهاج في يوم العيد زمنٌ مناسب لتوجيه موعظة، أو تصويب خطأ، أو تقويم زلّة –ولا سيما لأصحاب القلوب الرقيقة، المرهفة الحسّ كالنساء والأطفال– إذ تكون النفس مبتهجة متفتحة، فتتقبّل أيّ رأي، وتستجيب لكل توجيه عن طيب خاطر، ورضا نفس.

(١) سنن أبي داود ، ٤/ ٢٠١، كتاب السنة، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، ح ٤٦٠٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود،١١٩/٣

(٢) صحيح البخاري ، ٧/ ٢٢ ، كتاب النكاح، بَابُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي يَهْدِينَ المَرْأَةَ إِلَى زَوْجِهَا وَدُعَائِهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، ح ٥١٦٢

(٣) صحيح البخاري ، ٢/ ٢٤ ، كتاب الجمعة، بَابٌ: إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ، وَمَنْ كَانَ فِي البُيُوتِ وَالقُرَى، ح ٩٨٧

الخاتمة

أحمد الله تعالى أن وفّقني وأعانني وتفضّل عليّ في الكتابة في هذا الموضوع الدعوي الثريّ في مجال تأهيل الداعية، وأسأله سبحانه أن يجعله مدخلاً للباحثين في علم الدعوة، يحفّزهم على الكتابة المفصّلة عن هذا المجال المهم، ودافعاً للدعاة إلى فهم نفسية مَن يخاطبونهم؛ ابتغاء إقناعهم، ونشر دعوة الله في أرجاء المعمورة، وفي ختام هذا البحث ظهرت عدد من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً- النتائج:

١-إن فهم الداعية لنفسية مَن تُوجّه له الدعوة يساعده على اختيار أفضل السُبُل للتعامل مع شخصية هذا المدعو، وذلك يساهم في خلْق أفضل الأجواء لنجاح العملية الدعوية .

٢-إن تنسيق الداعية لخطابه ليلائم المستوى الثقافي للمدعو يساعد على إنجاح دعوته على نحو واسع.

٣-إن مراعاة الداعية لسنّ المدعو وجنسه يُعينه في الوصول إلى هدفه المنشود.

٤-إن معرفة الداعية لطبع المدعو، ونمطه الشخصيّ يعطي الداعية رؤية مناسبة تُلهمه اختيار أفضل المداخل لقلب المدعو وعقله للتأثير المراد فيه.

ثانياً- التوصيات:

١-حرص أقسام الدعوة في الجامعات على تنظيم الندوات والملتقيات بين الدعاة لتقويم مسيرتهم في طريق الدعوة إلى الله.

٢-ضرورة دراسة مجال فهم نفسية المدعو على نحو تفصيلي وشامل من قِبل طلاب درجتي الماجستير والدكتوراه؛ ليكون مرجعاً وافياً للدعاة، يفهمون من خلالها نفسيات المدعوين؛ لمعرفة أفضل المداخل لتوجيه المدعو وإقناعه.

٣-أهمية تدريس جوانب من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية لطلاب قسم الدعوة؛ وذلك لمساعدتهم على تخيّر أفضل المناهج والوسائل والأساليب الدعوية التي سوف تستخدم في الخطاب الدعوي.

قائمة المراجع

-آفاق بلا حدود، د.محمد التكريتي، دار المعارج، الرياض، ط٣، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.
-الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
-الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، د.عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣١ه/٢٠١٠م.
-البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، تقديم:صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.
-التربية المتجددة وأركانها، حنان غالب، مطبعة عيتاني الجديدة، بيروت، ١٩٦٥م.
-التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
-الحكمة، سعيد بن علي القحطاني، الرياض، ط٣، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.
-الدعوة، د.حمد العمار، كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م.
-السرّ في اتصالك، د.مروة عجيزة وبركات الوقيان، دار النشر للجامعات، مصر، ط٢، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م.
-السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم، الدارمي، صحّحه، وعلّق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الكتب الثقافية، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.
-السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

-الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، سهام جبّار، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٧ه/١٩٩٧م.
-العصف الذهني وفن صناعة الافكار، منال البارودي، المجموعة العربية للتدريب والنشر.
-الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، عني به: أحمد جاسم محمد المحمد، قصي محمد نورس الحلاق، أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي الدّاغستاني، دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١٤٢٨،١هـ/٢٠٠٨م.
-الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٠٩ه.
-المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢ه/١٩٩١م.
-المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ه/١٩٩٠م.
-المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، أبو عَوانة يَعقُوب بن إسحَاق الإسفرَاييني، تحقيق: الْجُزْء٣، ٤/ الدّكتور بَابا إِبْرَاهِيم الكميروني، الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤ م.
-المعتمد في أصول الفقه، محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
-المقاصد الحسنة في ما اشتهر من الأحاديث على الألسنة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: عبد الله محمد الصديق.

-المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط ١، ١٣٣٢هـ.
-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢ه.
-المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي، عني بتحقيقه وتصحيحه: أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٥١ / ١٣٥٣هـ.
-الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط١، ١٤١٦ه.
-الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، جورج شهلا وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٢م.
-بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
-تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابراهيم بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت.
-تعرف على شخصيتك وشخصيات الاخرين، سلمان الشمراني، جدة، ١٤٢٨ه.
-حاشية السندي على سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي السندي، دار الجيل، بيروت.
-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

-سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
-سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
-سنن أبي داود، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
-سنن الترمذي المسمى «الجامع الكبير»، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
-شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.
-شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي، دار المعراج الدولية للنشر، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط ١.
-شرح صحيح البخارى، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
-صحيح الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
-صحيح سنن ابن ماجه، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
-صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
-صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط٢، ١٤٢٢ه/٢٠٠٢م .

-علم النفس التربوي، حامد عبد القادر وآخرون، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٤، ١٣٨٥ه/١٩٦٥م.
-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
-فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
-فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦ه.
-قوت المغتذي على جامع الترمذي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، إعداد: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، رسالة الدكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ.
-كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض.
-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين اليافعي، وضع حواشيه :خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١٤١٧،١ه/١٩٩٧م.
-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

-مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنـــؤوط وعـــادل مرشـــد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر مســـاعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـــ/ ٢٠٠٨ م.
-معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية.
-مناقب أبي حنيفة، الإمام موقف أحمد المكي، طبعة دار الكتاب العربي، طبعة أخرى طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الهند.
-مناهج البحث وكتابتها، يوسف بـــن مصـــطفى القاضـــي، دار المـــريخ، الرياض.
-منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الشيخ عدنان العرعـــور، جـــائزة الأمير نايف آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.
-نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، جمعها وشرحها: د.حيدر أحمـــد الصافح، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٠ه/ ٢٠٠٠م.

****

خامساً :
أصول الفقه